رحلات البحث عن الذهب في بلاد السودان الغربي قبل الاسلام

أ.د. كريم عاتي الخزاعي أ.د. اسماعيل حامد اسماعيل

m@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية جامعة الاسكندرية

ملخص الدراسة:

اهتم الإنسان الأفريقي بالحصول على الذهب أو المعدن النفيس، والبحث عنه، وعن مناجمه مهما كانت الأخطار منذ أقدم العصور، وذلك نظرًا لأهمية الذهب في حياة الإنسان بشكل عام خاصة الاجتماعية والاقتصادية. ويبدو ذلك الاهتمام واضحًا لاسيما في البلاد الواقعة في جنوب الصحراء الكبرى التي تعد واحدة من أكثر البلاد شهرة بالذهب، وهي ذاتها البلاد التي تكونت فيها العديد من الدول والممالك الكبرى التي ازدهرت بفضل الذهب، وتجارته، وسيطرة حكام تلك البلاد على تجارة الذهب عبر الصحراء منذ ما قبل الإسلام. لقد ناقشت تلك الدراسة العديد من الموضوعات ذات الأهمية التي ترتبط بالذهب، وأهميته، وكذلك رمزيته في تلك البلاد، وكذا كيف بدأ الاهتمام بالذهب، والبحث عنه منذ أقدم العصور. كما تناولت الدراسة الشعوب والقبائل القديمة التي اهتمت بالذهب والبحث عنه، إضافة للحديث عن أهم الوسائل التي استخدمها الإنسان في البحث عن الذهب لاسيما الثيران، والخيل، وكذلك الإبل الذين لعبوا دورا مهما في الوصول لمناجم وأسواق الذهب، حيث شكلت كلٌ منها مرحلة مهمة من مراحل البحث عن المعدن النفيس في جنوب الصحراء الكبرى. كما رصدت تلك الدراسة أهم الرحلات والمغامرات التي قام بها التجار القادمون من شمال الصحراء إلى أسواق الجنوب من أجل الحصول على المعدن النفيس، وما هي التحديات والمخاطر التي واجهتهم لتحقيق تلك الغاية.

الكلمات المفتاحية: الذهب، تجار الملح، الصحراء الكبرى، بلاد السودان الغربي، الفينيقيون، البربر، الجرمنتيون، الخيل، الإبل...الخ.

Journeys to search for gold in Western Sudan before Islam

Dr. Karim Ati Al-Khuzai **Dr. Ismail Hamed Ismail**

Al-Mustansiriya University, College of Education **Alexandria University**

Abstract:

African peoples have been interested in obtaining gold, searching for it, and searching for its mines, regardless of all the dangers, since ancient times, due to the importance of gold in human life in general, especially the social and economic ones . This interest appears clear, especially in the countries located south of the Sahara, which is one of the most famous countries for gold, and it is the same country in which many major countries and kingdoms were formed that flourished thanks to gold and its trade, and the control of the rulers of those countries over the trans-Saharan gold trade since before Islam. This study discussed many important topics related to gold, its importance, as well as its symbolism in that country, as well as how interest in gold and the search for it began since ancient times. The study also dealt with the ancient peoples and tribes that were interested in gold and searching for it, in addition to talking about the most important means that humans used in searching for gold, especially bulls, horses, and camels, who played an important role in reaching gold mines and markets, as each of them constituted an important stage in the research stages. This study also monitored the most important trips and adventures undertaken by merchants coming from the northern desert to the markets of the south in order to obtain the gold, and what were the challenges and risks they faced to achieve that goal.

Keywords: Gold, salt merchants, Sahara, western Sudan, Phoenicians, Berbers, Garamantes, horses, camels... etc.

المُقدمة:

تعالج تلك الدراسةُ إحدى الإشكاليات المهمة التي ترتبط بالذهب في القارة الأفريقية منذ ما قبل الإسلام لاسيما في بلاد السودان الغربي، وهي بلاد غرب أفريقيا حاليًا، وكيف بدأت العلاقة بين سكان تلك القارة خاصة في جنوب الصحراء من جانب، والذهب من جانب آخر. حيث صار الذهب جزءًا لايتجزأ من حياة الإنسان في بلاد جنوب الصحراء عامةً، وهي ما تُعرف باسم بلاد السودان Land of Sudan، خاصة غرب أفريقيا. من المؤكد أن البحث عن الذهب لم يكن مرتبطًا بالوجود العربي الإسلامي هناك فحسب، بل حاول تجار شمال أفريقيا البحث عنه في أقصى الجنوب منذ القدم، رغم التحديات والمخاطر العديدة التي كانت تواجه هؤلاء التجار وقوافلهم، وهؤلاء التجار هم الذين اشتُهر أكثرهم في الغالب باسم: تجار الملح، إذ كان الملح السلعة الرئيسية التي كانت تستخدم للمقايضة بالذهب، إضافة لسلع أخرى عديدة.

لقد اهتم التجار والمغامرون منذ أقدم العصور، لاسيما الفينيقيون والبربر، بارتياد دروب الصحراء بحثًا عن الذهب في أسواق الجنوب. من ثمة لم يكن من المُستغرب أن تتعدد الرحلات والمغامرات جنوبًا من أجل ذلك المأرب. وتهدف الدراسة للحديث عن المعدن النفيس، وأهميته في جنوب الصحراء، وارتباطه بتجارة الملح منذ القدم، ومحاولات تجار الشمال الذهاب لأسواق الجنوب للبحث عنه مهما كانت مخاطر تلك الرحلات الشاقة عبر الصحراء منذ ما قبل الإسلام. وتحاول تلك الدراسة الإجابة عن بعض التساؤلات المهمة التي ترتبط بالإشكالية التي نحن بصددها، ولعل من أبرز تلك التساؤلات: ما الصعوبات والمخاطر التي واجهت التجار في الذهاب للجنوب بحثًا عن الذهب منذ القدم؟ وما الوسائل التي استخدموها للذهاب لأسواق الجنوب؟ وما أهم الرحلات التي قام بها التجار والمغامرون لبلاد جنوب الصحراء للحصول على الذهب قبل الإسلام؟

أولاً- الذهبُ وأهميته في بلاد جنوب الصحراء:

شَّكل الذهبُ أحد الموارد المهمة التي تقوم عليها الحياة الاقتصادية في جنوب الصحراء عامة، وفي بلاد السودان الغربي خاصة. وتتحدث المصادرُ من جانب آخر عن الذهب، وأصله، لاسيما في مصنفات اللُغويين القدامى، نظراً لأهمية هذا المعدن، وقيمته (البيروني، 2021م، صفحة 9). يذكر البعضُ للتفريق بين التبر والذهب، أن التبر ما كان من الذهب غير ما مضروب أو مسبوك (ابن منظور، 2014م، صفحة 210). وقالوا: لا يُقال تبرٌ إلا للذهب، وبعضهم قال للفضة أيضًا (المصدر السابق، صفحة 210). ولنتعرف على المزيد فيما يخص الفرق بين التبر والذهب، قال ابن جني: لايُقال له تبرٌ حتى يكون في تراب معدنه أو مكسورًا (الزهري، د.ت، صفحة 118). وأشار اللُغويون لوجود ثمة فرُوقٍ واضحة بين الذهب والتِبر، فكلاهما يُعبر عن حالة متباينة على غرار الذهب المسبوك، أو غير المسبوك، أو الذهب الخام. ومن المعلوم أن الذهبُ يُقال له في بعض اللغات الأفريقية، مثل لغة وعكري، وهي من لغات شعوب الماندي* في غرب أفريقيا: كيّ Ky، واشتق منه اسم: كيّ- مع، أو كيمع Ky –ma'a (السعدي، 1898، صفحة 9). وهو لقبُ مشهور منذ أيام مملكة غانة Kingdom of Ghana (469-600هـ)، وهو لقب يعني: ملك الذهب*، وعن هؤلاء الملوك، يقول القاضي كعت: "وكيَمَع في لغة وعكري: ملك الذهب، وكي هو الذهب، ومع: الملك" (كعت، صفحة 134).

تذكر المصادرُ السودانية أن أول حكام غانة كان اسمه: كيمع: "وأولُ سلطان في تلك الجهة هو قيمع، ودار إمارته غانة، وهي مدينةٌ عظيمةٌ في أرض باغن" (السعدي، 1898، صفحة 9). يعتقد البعضُ أن اللقب المحلي "كيمَع" الذي كان يحمله حكام غانة كان يُقصد به على الراجح: "ملك الذهب"، ويبدو أن بدء استخدام هذا اللقب، في رأي البعض، يرجع لحوالي القرن 2هـ/8م (طرخان، صفحة 28). بأية حال، عَرف الإنسانُ الأفريقي المعادن، وسَبكَها، والعمل في المناجم منذ آلاف السنين، فالعمل بالتعدين بشتى صنوفه، وأنماطه، أمرٌ قديمٌ بسبب أهمية المعادن في حياة الإنسان، وتتحدث الدراساتُ الحديثةُ عن عصر ما قبل التاريخ في أفريقيا،

* الماندي: هي الشعوب التي اشتهرت باسم شعوب الماندانغو أو الماندنغ..الخ، والتي ينتسب لها أكثر الشعوب في بلاد السودان الغربي (غرب أفريقيا). لغة الوعكري: وهي من لغات شعوب الماندي أو الماندنغو أي الذي يتحدثون لغة الماندي أو ماندي.

* أشار لتلك التسمية القاضي محمود كعت صاحب كتاب تاريخ الفتاش (للمزيد، انظر محمود كعت: تاريخ الفتاش، مطبعة بردين، أنجي، 1913م ص134). وانظر أيضا إبراهيم طرخان: امبراطورية غانة الاسلامية، الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف، وزارة الثقافة، القاهرة، 1970م، ص28.

وعن وجود مناجم للمعادن تؤرخ لتلك الحقبة القديمة، وهو ما يُشير لنشاط تعديني قام به الإنسان الأفريقي (بولم، 1974م، صفحة 11).

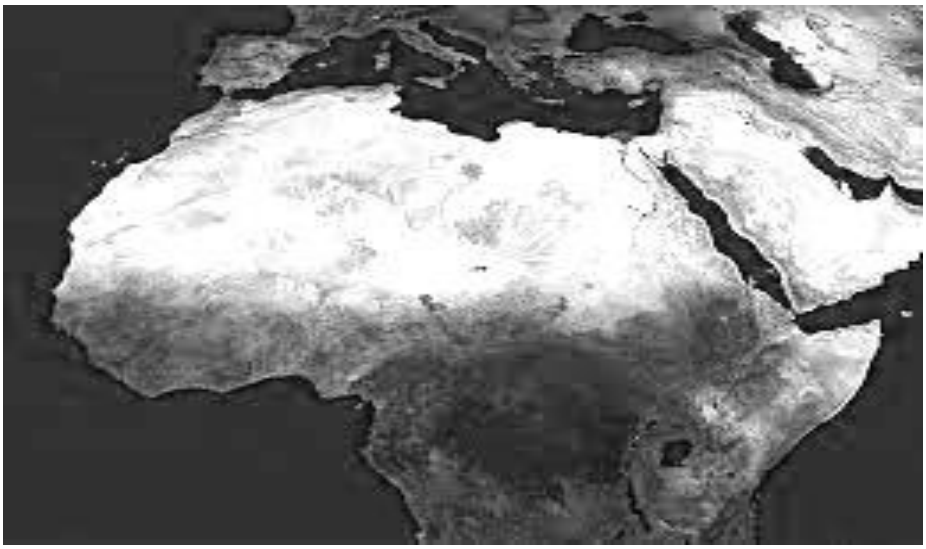

شكل 1- صورة تصور الصحراء الكبرى وامتدادها الواسع حيث توجد العديد من مناجم الذهب في الجنوب

وبحسب بعض الدراسات الحديثة، فإن الإنسان كان قد عرف الذهب، واستخراجه منذ قرابة الألف 3 ق.م، أي أن معرفة الإنسان بالذهب والصناعات المرتبطة به ترجع لحوالي 5 آلاف سنة (Shawe, 1857, pp. 5–6). يجدر بالذكر أن الذهب يشار إليه بأنه سيد المعادن، وهو أبرزها، وأكثرها قيمة، إذ ارتبط الذهب بالإنسان، وحياته، وثرائه، والإشارة لمدلولات الرفاهية والثراء. كما ارتبط ذلك المعدنُ بالموروثات الشعبية، والحكايات والميثولوجيات في العديد من مجتمعات جنوب الصحراء، وهو ما يتوافق مع طبيعة تلك البلاد التي تميل للبساطة (فيرني، 2002م، صفحة 59). كما ساهم الذهب وازدهار تجارته بتأسيس العديد من الممالك في جنوب الصحراء، وكان أبرزها: ممالك غانة، ومالي، وصنغي...الخ.

ثالثًا- روَّادُ التجارة والبحث عن الذهب في بلاد جنوب الصحراء قبل الإسلام:

ارتبط الذهبُ في آراضي أفريقيا منذ القدم بالعديد من الشعوب والقبائل القديمة، وكذلك الإثنيات التي سكنت آراضي القارة لاسيما بلاد جنوب الصحراء، ويأتي في مقدمتهم التجار والمغامرون الفينيقيون والبربر والجرمنتيون..الخ. يعد الفينيقيون من أبرز الشعوب التي اهتمت بالبحث عن الذهب في أسواق بلاد جنوب الصحراء منذ القدم، ولهذا كان الكثيرون من التجار من الباحثين عن الذهب من الفنيقيين. من جانب آخر، يبدو من الصعوبة بمكان أن نتعرَّف بشكلٍ واضح على تلك الكيفية التي اكتشف بها سكان جنوب الصحراء للذهب، ومتى كان ذاك الاكتشاف، فهو أمر يشق على أي باحث، ويبدو صعب المنال في ضوء المصادر. إلا أن بعض روايات التراث الشفاهي ربما تكون المصدر الذي ربما تحمل في ثناياها أسرار الذهب الصحراوي، وبعضًا من غموضه، وطلاسمه، وكيف اكتشفه السكان المحليون، وفي أي حقبة زمنية، وفي عصر أي من الحكام في بلادهم. ولدينا العديد من الروايات الشفاهية ترتبط بذلك لاسيما في غرب أفريقيا، ومن أبرزها تلك الروايات الخاصة بمملكة وجدو القديمة Kingdom of Wagadu [*].

تُشكل مملكةُ وجدو القديمة الكيان السياسي الأقدم الذي تأسس في آراضي غانة، وهي لاتزال حقبة من أكثر حقب غرب أفريقيا غموضا. لقد ظهرت في بلاد غرب أفريقيا العديدُ من المرويات التي يغلب عليها الطابع الميثولوجي، أو ربما الخُرافي أيضًا، فيما يخص تصور بعض الشعوب هناك حول الذهب، وكيف ظهر في بلادهم، وهو ما يتوافق مع ثقافة تلك الشعوب، والبيئة التي ارتبطوا بها. وإذا ما

[*] مملكة وجدو: أو وجادو أو وكد تعد أقدم الممالك التي أسسها السوننك في غانة، وعن تأسيس السوننك لها، يقول موسى كامرة: "زعموا أن كيفية ابتداء كد أن أهلها قبل سكناها هاجروا يطلبون مسكنا راكبين خيولهم، يجولون حتى مروا تحت نسر على شجرة، لاريش له، وسالهم النسر عن حاجتهم، فقالوا نطلب مسكنا. فقال أعرف مسكناً يكثر فيه الذهب والفضة كالمطر، قالوا دلنا عليه، قال لا أقدر على الطيران لانحصاص ريشي بالجوع.

رجعنا لبعض تلك المرويات، وكذا بعض الحكايات ذات الطابع الميثولوجي، فإنه لدينا العديد من الأساطير، ولعل من أبرزها ما يُقال لها أسطورة الثعبان بيدا، وكذلك تعرف بأسطورة أمطار الذهب. وارتبطت تلك الأسطورة بمملكة وجدو (في غانة) التي اشتهرت بأنها مملكة الذهب منذ العصور القديمة، وعن تأسيسها، وما حيك حولها من الحكايات، يذكر شارل مونتي: "يعتبرهم الآخرون (أي السوننك) مؤسسين للإمبراطورية الأقدم حيث يحتفظ أهل المنطقة بذلك في ذاكرتهم، فإمبراطورية وجدو عند السوننك والتقاليد التاريخية إذا أمكن القول قد حفظها المتخصصون المحليون الذين يسميهم العوام من السوننك الجيسيرو، ويُبجل هؤلاء التراثيون بلقب فيدي، ويمكن أن تترجم بلغتنا المعلم، أو السيد.." (مونتي، 2018م، صفحة 21). تذكر الميثولوجيات الشعبية في أرض غانة أن الثعبان بيدا كان حامياً لبلاد وجدو، وكما كان حاميًا للأسرة الحاكمة التي اشتهرت بـ"أسرة سيسي" أو سيسيه Cisse. تذكر الأسطورة أن الثعبان كان يعطيهم الحماية مقابل أن يقدم أهل البلاد له قرباناً، أو أُضحية Hoocauste سنويًا، وهذا القربان عبارة عن فتاة عذراء من أجمل فتيات البلاد (David, p. 55). تحكي الأسطورة أنه كان يوجد ثمة شرطٌ آخر في هذا الاتفاق، وهو أن يمد ذلك الثعبان (بيدا) أهل غانة بالذهب في مقابل هذا القربان الذي يُقدم له (Gulihem, pp. 26-27). وكان تقديم القربان مع بدء موسم الأمطار، وكان الناس يعتقدون أن استقرار بلادهم كان بفضل ذلك الثعبان المقدس الذي يمنح بلادهم الذهب (مونتي، 2018م، صفحة 43). أما فيما يخص رواد استكشاف الذهب في جنوب الصحراء، ورواد الرحلات والمغامرات صوب أسواق الجنوب منذ القدم، فيأتي في مقدمتهم الفينيقيون، والجرمنتيون والبربر..الخ.

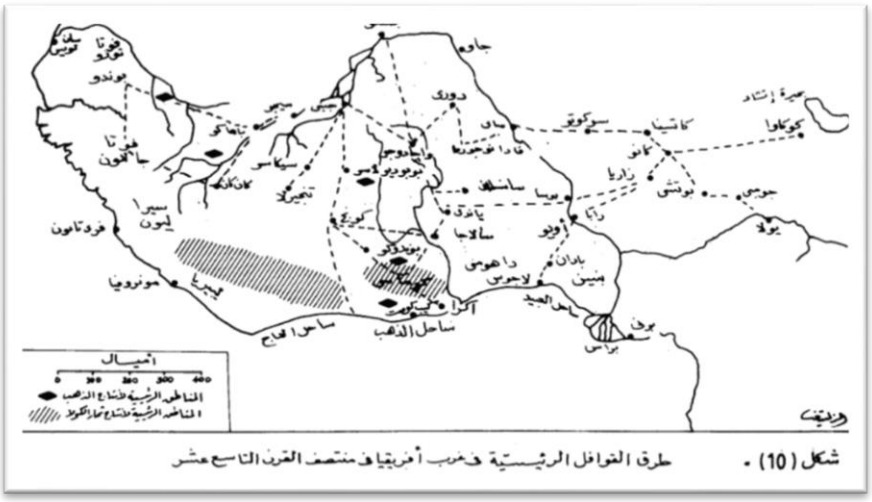

شكل 2- طرق القوافل الرئيسية في غرب أفريقيا

فالفينيقيون، فهم أقوامٌ مشهورون بالتجارة، واستكشاف رحلات البحار منذ أقدم العصور، ولما سيطروا على بلاد شمال أفريقيا، وأسسوا مملكة قرطاج، فكان للفينيقيين علاقات تجارية مع قبائل البربر بالصحراء (أوليفر، صفحة 59). واستفاد الفينيقيون زمن تطور الزراعة في بعض مناطق الصحراء الكبرى لاسيما في الشمال، وهو ما ساهم في ازدهار الحركة التجارية التي قاموا بها (المصدر السابق، الصفحات 59-60). بأية حال ارتبطت حركة القوافل التجارة ارتبطت بالصحراء والسكان القاطنين بها منذ حقب تاريخية بعيد لعلها ترجع على أقل تقدير لحوالي الألف الأخيرة قبل الميلاد، والألف الأولى للميلاد. أخذت تلك القوافل أشكالاً متباينة عبر التاريخ، حيث استخدم سكان الصحراء العجلات أو العربات التي تقودها الخيول أو ألحمير في بدايات الأمر بهدف اختراق دروب ومسالك الصحراء من شمال أفريقيا وحتى المناطق الجنوبية منها. ومع قدوم الإبل لمناطق شمال أفريقيا، صارت تلك الإبل الوسيلة الأثيرة لسكان الصحراء بهدف الذهاب لأسواق الجنوب، حيث توجد مناجم الذهب. وعن دور التجار الفينيقيين في ازدهار التجارة في شمال الصحراء، يقول فيلبسون: "كان الفينيقيون تجارًا عظامًا، ووفرت مستعمراتهم حافزًا لتجارة البربر مع مرتفعات الصحراء الوسطى، واحتمالاً مع غرب أفريقيا" (فيلبسون، صفحة 277).

من المؤكد أن الفينيقيين كان لهم دور في تأسيس العديد من المحطات التجارية على ساحل المحيط الأطلسي بهدف تسهيل التجارة مع الجنوب بهدف الحصول على الذهب الأفريقي (البرينسي، صفحة 167). لاريب أن الفينيقيين، أو بمعنى آخر القرطاجيين، كانوا يدركون أهمية الذهب الأفريقي في توطيد دعائم مملكتهم في شمال أفريقيا، وهي مملكة قرطاج، وأنهم كانوا على قناعة بأهمية الذهب في رخاء بلادهم (المصدر السابق، صفحة 167). يرى المؤلفُ أن الفينيقيين كانت نقطة تميزهم في التجارة البحرية التي برعوا فيها، ومن ثم دانت لهم السيادة على التجارة على سواحل شمال أفريقيا، والبحر المتوسط، وفي المحيط الأطلنطي، وفي الغالب لعب سكان المناطق الصحراوية ومنهم بربر الصحراء دور الوساطة التجارية بين الفينيقيين وسكان غرب أفريقيا وجنوب الصحراء لأن الفينيقيين لم يكونوا معتادين على مسالك الصحراء الوعرة، بينما كانوا سادة التجارة البحرية في العالم القديم. ويمكن القول بأن واحة غدامس أسهمت من جانبها بدور مهم في التجارة بين شمال وجنوب الصحراء خلال حقبة العصر الفينيقي (أبو القاسم، 2000م).

وتشكل منطقة غدامس- في ليبيا حاليا- مركزاً تجارياً مهمًا آنذاك، وكانت تعد بمثابة منطقة عبور (ترانزيت) بين مناطق الشمال الأفريقي لاسيما تونس وليبيا، وبلاد السودان الغربي والأوسط (المصدر السابق، صفحة 495). ويرجح أنه في العصر القرطاجي حيث سيطر الفينيقيون على شمال أفريقيا، فمن المعتقد أنه لم تنقطع العلاقات بين شمال الصحراء وجنوبها، حيث كانت التجارة والهجرات من جانب والإغارات من جانب آخر تتجه من الشمال حتى الجنوب لاسيما من فزان عن طريق الجرميين حتى حوض نهر النيجر، أو بجوار الساحل جنوبًا على البحر الأحمر، وبالقرب من مناطق القرن الأفريقي (دافيدسون، صفحة 13).

وكان العاج، وجلود الحيوانات، والرقيق، سلعا أساسية كان يأتي بها تجار الشمال من أسواق غرب أفريقيا منذ القدم، بينما كانوا يحملون لأسواق الجنوب المصنوعات الزجاجية والمعدنية، ومنتجات الفخار، من ثم صارت التجارة بين الشمال والجنوب مصدر أرباح طائلة للتجار الفنيقيين، وازدهرت حواضرهم التجارية الواقعة على السواحل، يقول فيليبسون: "ازدهرت المستعمراتُ الفينيقيةُ على قاعدة الأرباح التي حققتها هذه التجارة بدعم قدمته زراعة النباتات الحبيبية في السهول التونسية المسُيطر عليها من قبل حكام مملكة قرطاج بدءًا من القرن 5 ق.م، وما بعده، نتيجة ذلك تم استقطاب البربر المستقرين في المناطق الساحلية إلى أفق الثقافة والتقنية الفينيقية، وظهرت إلى الوجود ممالك البربر المستقلة شكليًا لكنها تابعة للفينيقيين" (فيلبسون، صفحة 277).

ويُعتقد أن الفينيقيين كانوا قد أقاموا علاقات تجارية مباشرة مع سكان جنوب الصحراء، وأنهم أقاموا طرقًا تجارية مع السكان المحليين في هذه البلاد، إذ كانت لدى الفينيقيين رغبة في البحث عن أسواق تجارية جديدة، وكذلك مناطق إنتاج المواد الخام، ولهذا تبدو منطقية وجود علاقات مع سكان جنوب الصحراء (سيد الناصري، صفحة 12). يذكر هيرودوت في القرن 5 قبل الميلاد أن بعض قاطني شمال الصحراء كانوا يقومون برحلات للجنوب. لعل منها خبر يتحدث عن رحلة قام بها خمسة أفراد من سكان جنوب ليبيا، وأنهم توغلوا في مناطق جنوب حتى وصلوا لمدينة تجارية تقع بالقرب من نهر عظيم، لعله في الغالب نهر النيجر، ويعتقد أن تلك المدينة كانت في الغالب تمبكتو في مالي حاليا (المصدر السابق، صفحة 12).

ويرى البعضُ أن تلك المدينة ربما كانت منطقة قريبة من موقعها، لأن تمبكتو لم تكن قد بنيت بعد، أي القرن 5 ق.م، إذ تأسست مدينة تمبكتو مع الإسلام، وانتشاره في غرب أفريقيا بحسب المصادر الأفريقية ذاتها، مثل "تاريخ السودان" للسعدي، و"تاريخ الفتاش" للقاضي كعت، وغيرهما (ابن بطوطة، صفحة 608). ويذكر السعدي (القرن 10هـ/16م) أن تمبكتو كانت قد نبتت ونشأت في حضن الإسلام، وأنها ما دُنست بالوثنية قط، ولاسجد على أديمها لغير الله (السعدي، 1898، الصفحات 20-21). بأية حال ارتبط ظهور الخيل وبروز دورها في شمال وجنوب الصحراء بأحد الشعوب القديمة، وهم الجرمنتيون، أو الغارامنت (حندوقة، صفحة 65)Geramantes، وكذا يُقال لهم الجرميون والكرامانيون (أنظر: احاديث هيرودوت عن الليبيين، صفحة 62). تلك التسمية نسبة لمنطقة جرمة، ويعتقد البعض أن الجرمنتيين هم أجداد بربر الطوارق الذين يقطنون الصحراء (بولم، 1974م، صفحة 34). أقام الجرمنتيون حضارتهم في واحة فزان، وكانت حاضرتهم جرمة (الفاخوري، 2012م).

يشير البعض إلى أن تسمية الجرمنتيين أو الكرامنيين (أكرا- أمون) قد تعني بالأمازيغية: حقل أمون، أو ربما مقر أمون، وهو المعبود المصري القديم المعروف لاسيما في طيبة (الأقصر حالياً) (أنظر: احاديث هيرودوت عن الليبيين، الصفحات 62-63)،

وهو ما يشير للتأثيرات الحضارية لمصر القديمة على سكان الصحراء. ويصف هيرودوت الجرمنتيين بأنهم شعب ذوي كثرة في عددهم، كما يذكر أنهم يعتمدون بشكل رئيس على حرفتي الزراعة والتجارة (Herodotus, p. 364) [1]. يذكر المؤرخ هيرودوت (القرن 5 ق.م) أنهم يقومون بنشر طبقة من التراب على الملح بهدف تخصيب التربة ثم يقوموا بزراعة التربة (Ipid, p. 364) [2]. لقد اختلفت الآراء والفرضيات التي أوردها الباحثون في العصر الحديث حول شعب الجرمنتيين، وأصل هذا الشعب الأفريقي، فمن قال إنهم في الأصل من بلاد الشام، وأنهم هاجروا بعد أن تغلب الملك داوود (1010-970 ق.م) على جالوت قائد العمالقة في حوالي القرن 10 ق.م (حندوقة، الصفحات 62-3).

بينما يرى آخرون أن الجرمنتيين كانوا من أصول مصرية، وكانوا تحديداً كانوا من سكان واحة سيوة غرب الآراضي المصرية (المصدر السابق، صفحة 63). وقيل غير ذلك من الفرضيات والآراء، إلا أنه من المؤكد، أن الجرمنتيين القدامى هم أسلاف قبائل الطوارق المعروفين في الصحراء. ويمكن الإشارة إلى أنه خلال العصر الفينيقي، أي بعد تأسيس قرطاج في شمال أفريقيا، كان الجرمنتيون يحملون لسكان سواحل البحر المتوسط بعض السلع المهمة لهذه البلاد كالريش، وبيض النعام، والرقيق التي أتوا بها من الأسواق الواقعة في جنوب الصحراء (بولم، 1974م، صفحة 34).

أما عن قبائل البربر، فهم من أهم المكُوِّنات الإثنية القديمة التي سكنت الصحراء، أو صحراء الذهب، ومن ثم كان لها اليد الطولى في نمو وازدهار تجارة الذهب والبحث عنه منذ أقدم العصور، ويذهب البعضُ إلى أن أقدم من قطن الصحراء الكبرى هم الزنوج الأفارقة، ثم صارت السيادة فيها بعد ذلك مع دخول الإبل لقبائل البربر.

ترجع أهمية البربر إلى أنهم كانوا من أقدم من اهتم بتجارة الذهب عبر الصحراء، والبحث عنه في أسواق جنوب الصحراء، ولما دخل العرب شمال أفريقيا مع قدوم العرب الذين أخذوا ينافسون البربر في تجارة الذهب مع الأفارقة المحليين في الجنوب*. وكان انتاج الذهب بكم كبير في مناجم الجنوب يحفز الكثيرين من تجار الشمال على القدوم مهما كان طول الأسفار*. ولقد تباينت الفرضيات حول البربر أو من يُقال لهم الأمازيغ حاليًا، وأصلهم الإثني، فمن قال إنهم ربما كانوا في الأصل من جذور عربية (ابن حزم، 2009، صفحة 495).

ثمة رأيٌ آخر يذهب إلى أنهم ينتسبون لجماعات من الفينيقيين القُدامى هاجرت من سواحل فينيقيا القديم (سواحل الشام)، ثم استقروا في بعض المناطق في شمال أفريقيا (ابن الفقيه، صفحة 81) (المقريزي، 2006م، الصفحات 144-145). وربما كان البربر يشكلون منذ القدم خليطاً ديموغرافياً من الفينيقيين وبعض الجماعات العربية القديمة التي هاجرت إلى شمال أفريقيا قبل الإسلام، ولعل ذلك هو الرأي الذي يميل إليه المؤلف. يؤيد ذلك الإتجاه أن عدداً من الباحثين، يشير إلى أنه حدثت هجرات قديمة بين سكان جزيرة العرب، وشمال أفريقيا، حيث إن جماعات من جزيرة العرب Arabia كانت قد هاجرت قديمًا إلى شمال الصحراء، أي أنهم كانوا في الغالب من بين الجماعات العربية القديمة المهاجرة من مواطنها الأولى (جزيرة العرب)، ثم استقروا في المناطق الشمالية من الصحراء حيث

---

[1] Herodotus: The Persian Wars, Vol. 1V, P. 364.

[2] Herodotus: Vol. 1V, P. 364.

* وكان انتاج الذهب بكم كبير في مناجم الجنوب يحفز الكثيرين من تجار الشمال على القدوم مهما كانت الصعوبات والتحديات، ومهما كان طول الأسفار. ولعلنا نحاول إدراك هذا الشغف بذهب الجنوب من خلال التعرف على انتاج الذهب في بعض المناجم بحسب الدراسات الحديثة. فعلى سبيل المثال كانت إنتاج بعض المناجم مثل بامبوك وبيوري على سبيل المثال في السودان الغربي خلال العصر الوسيط يبلغ قرابة 1000 كيلوجرام من الذهب، أو حوالي طن من الذهب، وهو رقم كبير مقارنة بالامكانيات البسيطة والبدائية المتاحة آنذاك لاستخراج الذهب. فكان ذلك حافزًا كبيرًا لتجار شمال أفريقيا ومصر للذهاب لأسواق جنوب الصحراء للحصول على الذهب. (انظر، الموسوعة الثقافية، دار الشعب، القاهرة، 1972، ص615.

* Michael Kevane: Gold Mining and Economic and Social Change in West Africa, Santa Clara University, Oxford University Press, 2015. P. 342. كان إنتاج بعض المناجم مثل بامبوك وبيوري على سبيل المثال في السودان الغربي خلال العصر الوسيط يبلغ قرابة 1000 كيلوجرام من الذهب، أو حوالي طن من الذهب، وهو رقم كبير مقارنة بالامكانيات البسيطة والبدائية المتاحة آنذاك لاستخراج الذهب. فكان ذلك حافزًا كبيرًا لتجار شمال أفريقيا ومصر للذهاب لأسواق جنوب الصحراء للحصول على الذهب، انظر
Michael Kevane: Gold Mining. P. 342

كان يعيش الكثير من البربر (ك. ماكفيدي، صفحة 35). لاريب أن هذا الرأي يبدو على قدر من الأهمية.

ويؤكد هذا الرأي على وجود صلات حضارية قديمة بين العرب والبربر بشكل لاجدال فيه، ولهذا صار كلاهما يعدون بمثابة سادة تجارة الذهب ومحتكريها عبر الصحراء منذ أقدم العصور. يعتقد ثلةٌ آخرون من الباحثين أن القبائل والبطون البربرية ربما كانوا قد سكنوا مناطق تلك الصحراء الشاسعة الامتداد منذ حوالي 3000 سنة (س. إبشتين، صفحة 77). ويبدو من الراجح أنه بمرور الزمن جرت جماعات من البربر القادمين من شمال أفريقيا للجنوب، ولاسيما لبلاد السودان، أو السودان الغربي. تُشكل تلك الهجرات بدورها مزيجاً عرقياً وإثنياً متنوعاً بين الجماعات المهاجرة من جانب، والشعوب الأفريقية المحلية من جانب آخر. لقد لعب المهاجرون من بلاد المغرب وشمال أفريقيا دوراً مهماً في تأسيس ممالك جنوب الصحراء. وارتبط تأسيس العديد من الدول والممالك الأفريقية الواقعة في جنوب الصحراء (مهران، 2016، صفحة 39 ومابعدها).

كما ارتبطت الصحراء، على غرار تلك الموجودة في غانة القديمة، وباقي بلاد السودان الغربي، وبلاد النوبة، وفي بلاد البجة، وكذا في مناطق الصحراء بالقرب من زيمبابوي بالذهب، ومناجمه، وتجارته، وكانت تلك المناطق هي الأبرز التي ازدهرت فيها تجارة الذهب خلال العصر الوسيط في القارة، وكذلك في العالم القديم، بل وحتى يومنا هذا. من ثمة كان للذهب دورٌ مهم في ثراء هذه البلاد، وتأسيس الممالك الأفريقية في هذه الفيافي الشاسعة الامتداد (كامرة، الصفحات 30-31). وكان سكان السودان الغربي من أكثر الشعوب التي انتشرت فيها تلك النوعية من صنوف التراث الشعبي المرتبط في ذات الآن بالموروث الميثولوجي من أيام الأسلاف، وهو ذلك الموروث الذي يختلط بالطبع مع بعض الأحداث الحقيقية التي وقعت بالفعل، وتُعَد غانة واحدةً من أكثر الممالك التي ظهرت في غرب أفريقيا عراقة وقدماً (Divid C. Conrad, 1983).

يقسم البعضُ غرب افريقيا والشعوب القاطنة بها لعدة تقسيمات جغرافية وديموغرافية: الأول، يعرف بالسفانا الغربية la Occidentale Savane، أما الثاني: فهو الذي يطلق عليه شعوب السافانا الوسطى la Savane Central (Halimatou, 2015, p. 66). بينما الثالث، فهم المعروفون بشعوب الغابات Peuples de la Foret (Ipid, p. 66). ويُحدد الجُغرافيون القدامى موقع تلك المملكة من جُغرافيا بأنها من بلاد الصقع الثالث من المعمور بالأرض (الزهري، د.ت، صفحة 125). تذكر المصادر أنه تبلغ المسافةُ بين مدينة غانة من جانب، والبحر الأعظم، ويقصد به: المحيط الأطلنطي، غرباً من جانب آخر زُهاء ثمانية أيام (المصدر السابق، صفحة 125).

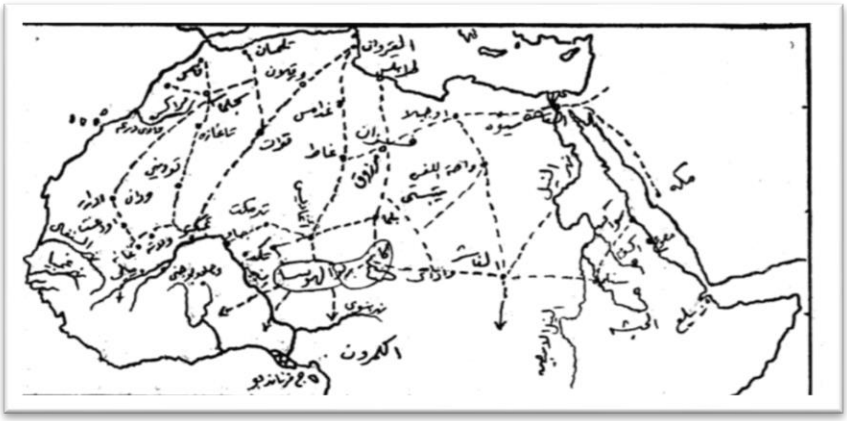

شكل 3- خريطة تصور أهم طرق التجارة الصحراوية التي تؤدي لمناجم الذهب في جنوب الصحراء،
طرخان: البرتغاليون في غرب أفريقيا، ص15

ولعبت العديدُ من القبائل الأفريقية المحلية، في ذات الوقت، دوراً مهماً في ازدهار التجارة، لأنهم يدركون أن تجارة الذهب هي الأساس الذي تقوم عليه حياتهم الاقتصادية، ورفاهيتهم، وهو ما أدركه حكام غرب أفريقيا منذ القدم. ويأتي في مقدمة تلك الشعوب: الماندنغو، أو الماندنغ، وبطونهم وفروعهم التي أسهمت اسهامًا لايمكن إنكاره في ازدهار تجارة الذهب بين شمال وجنوب الصحراء. وينسب للعديد من الفروع التي تنتسب للماندنغو ازدهار التجارة بصفة عامة، والذهب خاصة، لاسيما السوننك، والديولا، والونغارة (الونقارة)...الخ، وكلهم من فروع الماندنغو في غرب أفريقيا. وسكن الماندنغو فيما بين أرض التكرور والصنغاي التي تمتد من شرق

نهر النيجر، وأعالي نهر السنغال في الغرب، ومنطقة الغابات في أقصى الجنوب (كامرة، صفحة 38).

ثالثًا- وسائلُ البحث عن الذهب في بلاد السودان الغربي قبل الإسلام:

تعددت الوسائلُ التي استخدمها التجار القادمون من شمال الصحراء صوب آراضي الجنوب بغرض التبادل التجاري لاسيما للحصول على الذهب من قاطني تلك البلاد، ولعل من أقدم تلك الوسائل التي استخدمت في الغالب لتلك الغاية الثيران، ثم استخدم التجار الخيل، وتحديدًا العربات التي تجرها الخيل، غير أنه وبسبب التغيرات المناخية التي حدثت في مناطق جنوب الصحراء ومع قلة الأمطار وانقطاعها في أكثر أقاليم الصحراء استخدم التجار الإبل للذهاب إلى أسواق الجنوب. ويمكن ملاحظة تلك الوسائل من خلال الرسوم الصخرية التي تم الكشف عنها في شتى أقاليم الصحراء الكبرى.

قسم العلماء كل مرحلة من مراحل تطور الفن الصخري باسم الحيوانات التي برز دورها في كل منها. وتعد المرحلة المعروفة بحقبة رعي البقر، وتسمى أيضاً "عصر الثيران" من أهم مراحل تطور الفن الصخري التي تظهر أهمية الثيران خلال تلك الحقبة العتيقة من تاريخ سكان الصحراء، وهي تمتد من الناحية الكرونولوجية لما بين حقبة الألف 5-4 ق.م، وكان إنسان الصحراء يعتمد آنذاك على جمع الحبوب، وصيد الحيوانات، والطيور، وصيد الأسماك (الربيعي، صفحة 193). يطلق البعضُ عليها البعض "الحقبة البقرية"، لأنها تتميز بكثرة وجود رسوم ونقوش تصور مناظر رعي الأبقار، وتربيتها، وتلك الرسوم يحددها البعض بحوالي الألف 6 ق.م (فيرني، 2002م، صفحة 89).

وتطابق تلك الحقبة ما يقال له العصر الحجري الحديث (النيوليثي) حتى الألف الثاني ق.م، وربما حتى الألف الأخير ق.م (المصدر السابق، صفحة 89). يجدر بالذكر أن الرسوم الموجودة في الصحراء الجزائرية المترامية الأطراف مجتمع رعاة البقر، وكانت كل جماعة تعمل على زيادة قطعانها مما أدى للتنافس والصراع مع بعضها البعض، وهو ما نتج عنه قيام ما يمكن أن يكون تنظيمات شبه قتالية لحماية قطعانهم لاسيما الأبقار (جراية محمد، صفحة 103). ثم مرت تجارةُ الذهب بالصحراء بالعديد من التطورات، والأنماط المتباينة التي ترتبط داخل البيئة الصحراوية التي لها تأثير مهم جدًا على النشاط الاقتصادي وأنماطه، لاسيما تجارة القوافل، وحتى نوعية الحيوانات والدواب التي كان يستخدمها قاطنو الصحراء في رحلاتهم ما بين الشمال والجنوب بهدف البحث عن الذهب، وكانت أكثر الحيوانات التي تستخدمها القوافل آنذاك: الثيران، والخيل، وكذلك الإبل، وذلك عبر آلاف السنين.

شكل 4- أحد مناظر الثيران الموجودة على جدران صخور الصحراء الكبرى

يشير العلماءُ لما يطلق عليه "عصر الخيل" Era of Horses، أو تلك المرحلة التي بدأت تظهر فيها رسوم الخيل في الفن الصخري، من أبرز مراحل تطور الفن الصخري بشكل عام، إذ إنها تشكل الحقبة الخاصة بإرهاصات أو البدايات المبكرة الحقيقية للتجارة الصحراوية بين الشمال والجنوب، من ثم بدايات التواصل الحضاري والثقافي بين السكان بالصحراء. وتبدأ تلك المرحلةُ بعد حوالي منتصف الألف 2 قبل الميلاد، ولاريب أن الخيل كانت قد دخلت آراضي أفريقيا عن طريق مصر، وأنها جاءت في الغالب لأرض مصر من آراضي آسيا (بولم، 1974م، صفحة 35). ويُطلق العلماء على تلك المرحلة المهمة تسمية: "عصر الجرمنتيين"

(فيلبسون، صفحة 194)، بينما يُحددها آخرون مع نهايات الألف 2 ق.م، ومع بواكير الألف الأول ق.م (فيرني، 2002م، صفحة 91).

في الغالب، استمر السكان بالصحراء في الاعتماد على الخيل في زمن الوجود الروماني في هذه البلاد، وحتى القرن الأول الميلادي على أقل تقدير (ويدنر، 2001م، صفحة 26). من المعلوم أن مصر كانت من أقدم البلاد في أفريقيا التي عرفت الخيل، كما أن المصريين عرفوا استخدام العجلات التي تجرها الخيل منذ حوالي سنة 2000 ق.م (بوزنر، 1996، الصفحات 347-348)، هذا النوع من العربات يُطلق عليها Chariot Horse-down وهي ذات العربات التي ظهرت فيما يبدو مع قدوم الهكسوس الغزاة (Lynne , 1977, pp. 15-16). ويحدد البعضُ وجود الخيل في شمال أفريقيا، وباقي مناطق الصحراء بحوالي سنة 1200 ق.م (ب. دافيدسون، صفحة 10). يذكر أحد الدارسين أن الصحراء كانت قد عرفت 4 فترات من السُكنى خلال عصرها المزدهر، وكان أولهم قوم كانوا يعملون بالصيد، تبعهم أخيراً قوم يرعون الماشية، "وهؤلاء أو خلفاؤهم حصلوا على الخيل في حوالي سنة 1200 ق.م" (المصدر السابق، صفحة 10). ويرجع بعض الباحثين وجود الخيل بالصحراء لمدة بعيدة جداً قد تصل لحوالي 30 ألف سنة (أنظر: احاديث هيرودوت عن الليبيين، صفحة 64)، وهو رأيٌ يحمل بلاريب الكثير من المبالغة غير المنطقية، إلا أنه من المؤكد أن الخيل كان لها وجود قديم بالصحراء منذ ألف أو 2000 سنة قبل الميلاد على أكثر تقدير.

تذكر الرواياتُ الشفاهية في غانة أن سكان وكد، وهي ذاتها مملكة وجدو، كانت لديهم الخيول قبل تأسيس تلك مملكة غانة، وهو ما يشير لذيوع الخيل في التراث الأفريقي القديم. وتذكر بعض الروايات الشفاهية الخاصة بشعب السوننك*، أن سكان المملكة كانوا يبحثون عن أرض يسكنون فيها، ثم قابلوا نسراً ليس له ريش (كامرة، صفحة 252). ثم تحدثوا مع النسر عن حاجتهم، فأخبرهم أنه يعلم أرضاً طيبة، وبها الكثير من الذهب كأنه المطر، واتفق معهم أن يطعموه حتى ينموا له الريش، من ثم يمكنه أن يذهب بهم لتلك الأرض، ثم أطعموه من لحوم الخيول حتى سمن، وبعد ذلك نما ريشه (المصدر السابق، صفحة 252). أما عن وجود الخيل، تذكر تلك الأسطورة الأفريقية: "فجعلوا كل أسبوع يتناوبون فيه بمُهرٍ من الخيل سمين يأتون للنسر به، فيقتلونه، فمازالوا هكذا حتى سمن النسر" (المصدر السابق، صفحة 252). تشير أسطورة الثعبان بيدا الغانية المعروفة لوجود الخيل فيما قبل تحول سكان البلاد للإسلام، وأن الفتى مامادو الذي تمكن من قتل الثعبان لينقذ حبيبته التي كان من المفترض أن يلتهمها الثعبان بحسب الأسطورة، ثم هرب الفتى مع حبيبته على متن فرسه (مونتي، مملكة وجدو بين الاسطورة والتاريخ، 2018م، الصفحات 46-49). على هذا، تؤكد الأساطير الأفريقية القديمة أن شعوب السودان الغربي كانوا يعرفون الخيل منذ أقدم العصور، غير أنه ليس بالإمكان تحديد ذلك الوقت على وجه اليقين، ولاريب أن ذلك يؤرخ لما قبل الإسلام وانتشاره في آراضي غرب أفريقيا بقرون عديدة.

* السوننك: من أقدم شعوب وقبائل غرب أفريقيا، وهم من فروع الماندنجو أو الماندي، ينتسب لهم تأسيس مملكة غانة التي تعد أقدم ممالك غرب أفريقيا. وللمزيد عن السوننك، انظر طرخان: امبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970م ص28. ج. نياني: تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ أفريقيا العام (اليونسكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ص29. أحمد الشكري: مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية، معهد الدراسات الأفريقية (الرباط)، 1997م.

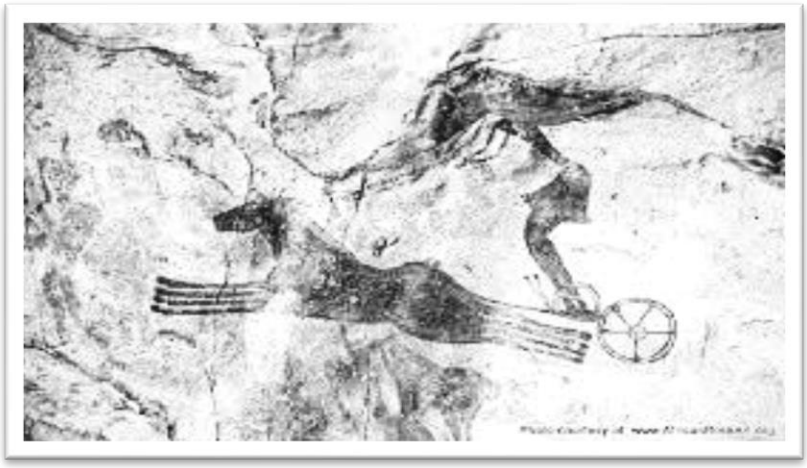

شكل 5- رسوم صخرية لأحد الخيل يجر إحدى العربات بالصحراء- لوحات طاسيلي

لاريب أن استخدام الخيل وظهورها بالصحراء يُشكل ما يمكن أن يُعد بمثابة الارهاصات المبكرة لحركة القوافل باستخدام الخيل في الانتقال، وحمل البضائع فيما بين شمال الصحراء وجنوبها. تتميز تلك المرحلة بظهور الخيل التي كانت تجر العربات ذات العجلات، ومعلوم أن الرسوم والمناظر الخاصة بهذه العربات تظهر في العديد من المناطق التي تمتد من صحراء ليبيا وحتى الصحراء الموريتانية في الغرب، مروراً بمنطقة أيير في النيجر، وكذلك في منطقة أدرار إفوجاس التي تقع في آراضي مالي حالياً (فيرني، 2002م، صفحة 91). من المؤكد أن الخيل ظلت تستخدم في نقل السلع التجارية التي تحملها القوافل الذاهبة لأسواق جنوب الصحراء حتى القرن الأول قبل الميلاد على أقل تقدير (ويدنر، 2001، صفحة 26). وربما بعد ذلك، وهو ما تؤكده رواية هيرودوت الذي زار صحراء ليبيا بعد سنة 449 ق.م، ويذكر أن سكان صحراء ليبيا القدامى، وهم الجرمنتيون، كانوا يركبون العربات التي تجرها الخيل، وكانوا يطاردون بها أهل الكهوف من الإثيوبيين بحسب قوله، والمقصود بهم سكان غرب أفريقيا (حندوقة، صفحة 65). وتتسم الفنون الصخرية التي تؤرخ لعصر الخيل أنه في بعض الأحيان كانت رسوم الخيل تبدو ذات امتداد واسع، ففي وادي جرات، يوجد رسم يؤرخ لتلك المرحلة، وهو على امتداد حوالي 9 أمتار (ج. كي . زيربو، صفحة 671). ظل استخدام الخيل بالصحراء حتى أيام الرومان فيما يعتقد، ويحدد البعضُ أنه في حوالي منتصف القرن الأول ق.م، لم يعد في الإمكان أن تعيش الخيول والثيران في الصحراء كما كان الحال من قبل، بسبب التغيرات المناخية التي حدثت (ويدنر، 2001، صفحة 26).

ولندرك أهمية ما ورد في المصادر التاريخية حول الخيل، وانتشار العربات التي تجرها الخيل، نذكر بعضاً مما ورد في كتاب هيرودوت (مجلد4، فقرة 183): "وانطلاقاً من أوجلة وعلى مسافة عشرة أيام أخرى، يوجد تل ملحي..ويسكن هنا قوم يسمى الكرامنيون (الجرمنتيون)*، وهم، أي الجرمنتيون، شعب كثير العدد..يطارد هؤلاء الكرامنيون على عرباتهم ذات الخيول الأربعة الإثيوبيين التروكلوديت الذين يسكنون الكهوف الذين يتميزون بالجري السريع لايضاهيهم في ذلك أي حد" (Herodotus, p. 364). كما يذكر هيرودوت متنا آخر (مجلد 4، فقرة 189) في غاية الأهمية، حيث يذكر أن الإغريق هم من أخذوا عن سكان الصحراء، فكرة العربات التي كانت تجرها الخيل: "اقتبس الإغريقُ عن الليبيين لباس ودرع تماثيل أثينا..ومن الليبيين أيضًا تعلم الإغريق قيادة العربات ذات الخيول الأربعة.." (Ipid, p. 367).

يمكن أن نخلص إلى أن الخيل كان لها تأثير لافت على نمو النشاط الاقتصادي، لاسيما ما يرتبط بتجارة القوافل فيما بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى لاسيما قبل الحقبة التي ظهرت فيها الإبل. كما أسهمت الخيل بدورها في إحداث مزيد من توثيق الروابط والصلات الحضارية والثقافية بين سكان شمال وجنوب الصحراء، خاصة مع ازدياد حركة التجارة بين ضفتي الصحراء، وقدوم سكان شمال أفريقيا لأسواق الجنوب بحثاً عن الذهب الذي ذاعت شهرته في شمال الصحراء منذ القدم، وهو ما ساهم في إحداث أنواع من

* الكرامنيون: ويقصد بها الجرامنتيين أو الجارامنت حيث يختلف نطق الاسم من ترجمة لأخرى في كتاب هيرودوت كما هو واضح من خلال كثرة الأشكال التي يكتب بها اسم هذا الشعب الأفريقي القديم.

المزج الحضاري والتلاقح الثقافي بين السكان في كل من الجنوب والشمال. ومع حدوث التغيرات المناخية، وتحول الصحراء لصورتها الحالية، قل الاعتماد على الخيل بمرور الزمن، من ثم برز دور الإبل في تلك الحقبة، إذ صارت البديل الملائم بشكل كبير لطبيعة الصحراء خلال تلك الفترة بدلاً من الخيل (أوليفر ر.، الصفحات 69-70). يجدر بالذكر أن المراحل الخاصة بالفن الصخرى بالصحراء تنتهي بما يُطلق عليه عصر الإبل Age of Camel، وهي الحقبةُ التي تُشكل البداية الحقيقية لازدهار تجارة القوافل. ويمثل ظهورُ الإبل نقلةً تاريخية في حركة القوافل بين شمال وجنوب الصحراء.

وتُعد آراضي آسيا الموطن الأول للإبل لاسيما في بلاد جزيرة العرب (Toby Wikinson, 2008, p. 47)، ومن المُعتقد أن هذه الفترة ترجع لحوالي القرون الأولى الميلادية (هنري لوت، صفحة 12) (أنظر: احاديث هيرودوت عن الليبيين، صفحة 194). ومن الراجح أن الإبل كانت قد وصلت في الغالب إلى آراضي شمال أفريقيا عن طريق آراضي مصر، وهي التي عرفت الإبل بدورها منذ عدة قرون ق.م (فيرني، 2002م، صفحة 91). يشير البعضُ، ومنهم دونالد ويدنر، بأن الرومان هم الذين أدخلوا الإبل إلى مناطق الصحراء من بلاد آسيا الصغرى (ويدنر، 2001م، صفحة 26)، وهو رأي ينقصه بعض الدقة في رأي المؤلف. يُحدد البعضُ بدوره وجود الإبل في أفريقيا منذ حوالي القرن 9 ق.م (Toby Wikinson, 2008, p. 47)[3]. لعل من أقدم بقايا الإبل التي كُشف عنها في مناطق الصحراء بالقرب من قصر أبريم بأسوان في مصر (Ipid, p. 47).

ويبدو من المهم أن نؤكد أن المصادر كما أوضحنا آنفاً تشير إلى أن الخيل وربما الثيران، ظلت تستخدم في الصحراء حتى القرون المتأخرة قبل الميلاد في القوافل التجارية، وهو ما يبدو بشكل أو بآخر من المصادر اليونانية وغيرها، وليس من المُستبعد البتة أن الخيل ظل سكان الصحراء وتحديداً التجار يستخدمونها في ذات الآن الذي ظهرت فيه الإبل لمدة لانعرف مداها على وجة اليقين أو التحقيق، وإن يرى البعضُ أن مكانة الخيل قد قلت لصالح الإبل في أقاليم الصحراء شمالاً وجنوبًا على السواء منذ حوالي منتصف القرن الأول قبل الميلاد (ويدنر، 2001م، صفحة 26). إلا أنه من المؤكد أن الخيل ظلت تستخدم جنباً لجنب مع الإبل بشكل أو بآخر لبعض الوقت ولفترة زمنية لانعلمها، حتى أدرك تجار أنه لامناص من أن الإبل تشكل الوسيلة الأنجع في قيادة قوافل التجارة عبر الصحراء نظراً للفوارق الواضحة بين الطبيعة البيولوجية لكل من الخيل والإبل، إذ إنهم أدركوا أن الإبل هي أكثر قدرة وتحملاً وجلداً على عبور طرُق الصحراء التي تتسم بوعورتها وقسوتها أكثر من الخيل. لعله من المؤكد، في رأي المؤلف، أن ذلك التحول في مكانة كل من الخيل والإبل، كان مرتبطًا بشكل لاخلاف عليه بالتغيرات المناخية، وتطورها، إذ أصبحت الصحراء وأقاليمها فيما يبدو على حالتها الحالية لحد بعيد، واختفت السافانا تماما، ولم يعد الغطاء الأخضر بها كما كان في الماضي القريب، وهو ما جعل مهمة الخيل تبدو أكثر مشقة في عبور الصحراء.

شكل 6- مناظر تصور قافلة من الإبل على الجدران الصخرية بالصحراء

من ثمة صارت الإبل الحل المناسب أمام التجار لعبور دروب الصحراء الكبرى إلى أسواق الذهب في أقصى الجنوب، وعن تلك

[3] Toby Wikinson: Dictionary of Ancient Egypt, P. 47.

الفترة الانتقالية، والتي شهدت المرحلة ما بين سيادة الخيل وأفولها كوسيلة رئيسية لتجارة الصحراء من جانب، وقدوم الإبل إلى أقاليم الصحراء من جانب آخر، يذكر دونالد ويدنر: "كان في الإمكان تربية الخيول على نطاق واسع حتى العصر الروماني، وفي حوالي سنة 46 ق.م، لم يعد في الإمكان أن تعيش الخيول والثيران بالصحراء، وحل الرومان المشكلة بأن جلبوا الإبل من بلاد آسيا الوسطى، غير أن سفن الصحراء هذه لم تكن كثيرة أو ذات أهمية حتى القرن الرابع بعد المسيح" (المصدر السابق، صفحة 26)، لكن من المتُعارف عليه أن الإبل إلى سكان الصحراء الكبرى جاءت في الغالب من كل من مصر وبلاد جزيرة العرب.

رابعًا- أهمُ رحلات البحث عن الذهب في السودان الغربي فيما قبل الإسلام:

شهدت أقاليم جنوب الصحراء الكبرى حيث تكثر بها مناجم الذهب وأسواقه العديد من أشكال الرحلات والمغامرات فيما بين سكان شمال وجنوب الصحراء الكبرى، سواءً كانت رحلات ذات طبيعة استكشافية لمعرفة أسواق الذهب ومناجمه، أم أنها كانت رحلات تجارية، وهي الرحلات التي قام بها عدد ليس بالقليل من الرحالة والمستشكفين القدامى، وكذلك إضافة لرحلات أخرى قام بها التجار منذ أقدم العصور، بعد أن نالت تلك البلاد شهرة واسعة بفضل وجود مناجم الذهب، وأسواقه، وهو الأمر الذي أشار إليه العديد من المؤرخين اليونان والرومان.

من المؤكد أن التواصل بين الشمال والجنوب كان أمرًا معتادًا، وكان الذهب يشكل المأرب الكبير لتجار شمال الصحراء. يبدو من الأدلة الأثرية التي تؤكد ذلك أنه تم الكشف في بعض المناطق التي ترجع لأيام القائد القرطاجني هانيبال، في حوالي سنة 406هـ، إذ تم الكشف عن كميات كبيرة من مصنوعات العاج، وعدد من الزنوج الأفارقة في إيطاليا وصقلية واليونان، مما يدل على استمرار التواصل بين سكان الشمال والجنوب (طرخان ا.، 1963). مما لاريب فيه أن قوافل الإبل ظهرت قبل الميلاد، وأشار لتلك الرحلات المؤرخون القدامى مثل هيرودوت (ت: حوالي 450 ق.م)، واستربون (حوالي 64 ق.م)، وبليني (23-79م)، وبطليموس الجغرافي في حوال القرن 2م، وغيرهم (أوليفر، صفحة 97). ويعتقد أوليفر أنه لو ربطنا ذلك بملاحظات هيرودوت لتوصلنا لدلائل واضحة تشير لوجود علاقات منتظمة بين شعوب البحر المتوسط وسكان شمال أفريقيا من جانب، وزنوج أفريقيا من جانب آخر منذ القرن 5 الميلادي على الأقل (المصدر السابق، صفحة 97).

ولقد كانت القوافل التي يرسلها الفينيقيون إلى مناطق جنوب الصحراء، تستخدم الطريق التجاري القريب من مدينة جرمة الواقعة في الصحراء الليبية، وهي التي كانت حاضرة الجرمنتيين، وكانت القوافل التجارية تحمل السلع من الشمال ومنها الزجاج والملح والنبيذ والقمح للسكان الأفارقة في جنوب الصحراء (الناصري، صفحة 13).

وسوف نتحدث عن أهم تلك الرحلات القديمة التي قام بها التجار والرحالة القدامى إلى أسواق الذهب، وهي التي ترجع لعدة قرون قبل الميلاد. وتعد رحلة البحار الفينيقي المدعو باسم إيتوبال الصوري Ithobal of Tyre واحدة من أقدم الرحلات الاستكشافية في التاريخ، ولقد كانت تهدف بشكل أساسي للكشف عن آراضي قارة أفريقيا، أو في الغالب سواحل البلاد المعروفة باسم: بلاد السودان (أي بلاد جنوب الصحراء)، وتؤرخ تلك الرحلة بحسب البعض لحوالي سنة 600 ق.م، إذ إنه في تلك السنة حدثت واحدة من يمكن أن توصف بأنها واحدة من أروع الرحلات البحرية في العالم القديم، وكانت تلك الرحلة بناءً على طلب حكام مصر القدامى، إذ من اللافت أنها كانت قد بدأت من أرض مصر، وهي رحلة بحرية كان قد أرسلها ملك مصر نخاو الثاني Nechao II (طرخان، الصفحات 12-13).

من المؤكد أن تلك الرحلة كانت بهدف استكشاف السواحل الأفريقية كافة شرقا وغربا وحتى جنوبا في المقام الأول، ومن المعتقد أنها كان من أهدافها الذهاب لبلاد بونت في الجنوب، وهي البلاد التي كانت تشتهر بالذهب، وهي البلاد التي كان يعرفها المصريون القدماء منذ أقدم العصور، منذ حقبة الأسرة الرابعة على أقل تقدير، أي منذ حوالي القرن 24 ق.م، لقد قاد تلك الرحلة البحار الفينيقي المشهور إيتوبال، وهو الرحالة الذي يعرف في ثنايا كتب التاريخ باسم إيتوبال الصوري Ithobal of Tyre *

وكانت تلك الرحلة تضم بحارة من المصريين والفينيقيين في ذات الآن بقيادة إيتوبال، بدأت تلك الرحلة من سواحل البحر الأحمر، ثم اتجهت لسواحل شرقي أفريقيا، ثم إلى سواحل جنوب القارة، ثم لسواحل غرب أفريقيا، ومنها عبرت السفن المصرية التي كان يقودها الفينيقيون بقيادة إيتوبال إلى أعمدة هرقل، وهو مضيق جبل طارق حاليا، ثم البحر المتوسط (طرخان، صفحة 13). ولقد استغرقت تلك

* الصوري نسبة لمدينة صور، وكانت احدى المدن الفينيقية الكبرى على سواحل بلاد الشام، وهي تقع في لبنان حاليا.

الرحلة بحسب بعض المصادر قرابة ثلاثة سنوات، ويقال إن البحارة الذين كانوا في تلك الرحلة كانوا يقومون بالاستقرار عند بعض السواحل الأفريقية لاكتشاف تلك البلاد، ولهذا كانوا يقومون بالزراعة والحصاد من أجل توفير طعامهم خلال تلك الرحلة الطويلة (المصدر السابق، صفحة 13).

ويتحدث هيرودوت عن رحلات التجار القرطاجيين لمناطق كانت تشتهر بالذهب، وكانت تقع خلف أعمدة هرقل، وهي منطقة جبل طارق، ولعله يقصد بذلك المناطق التي كانت تقع فيها مدن سجلماسة أو وادي درعة، أو بالقرب منهما، وهاتان المنطقتان من أشهر المحطات التجارية التي ترتبط بتجارة الذهب (البرينسي، صفحة 167). ويقول هيرودوت عن استخدام طريقة التجارة الصامتة في موضوع التبادل التجاري: "يوجد خارج أعمدة هرقل منطقة في ليبيا يعيش فيها سكان يأتي إليهم القرطاجيون، ويفرغون بضائعهم على شاطيء البحر، ثم يعودون إلى سفنهم، ويوقدون نارًا ذات دخان لإخبار السكان الأصليين. وعندما يشاهد هؤلاء الدخان يقتربون من الشاطيء ويضعون بجانب السلع القرطاجية ذهبا مقابل البضائع، ثم ينسحبون بعيدا عنها.." (هيرودوت، صفحة 100).

ويذكر هيرودوت أن التجار القرطاجيين كانوا ينزلون مرة أخرى من سفنهم إلى الشاطيء، وكانوا يتأملون الذهب الذي وضعه التجار الأفارقة، فإذ ظهر لهم أن كمية الذهب توافق قيمة البضاعة، فكانوا يأخذون الذهب، ويعودون لسفنهم، وعندها تنتهي المعاملات التجرية بالحصول على الذهب (المصدر السابق، صفحة 100). بيد إنه إذ رأي التجار القرطاجيون أن قيمة الذهب تبدو أقل من البضاعة التي وضعوها، فكانوا يتركون الذهب، ثم يعودون لمراكبهم، عندها يعود التجارة الأفارقة، ثم يقومون بزيادة المعروض من الذهب إلى أن يقتنع التجار القرطاجيون (هيرودوت، صفحة 100).

ثم ينهي هيرودوت تلك الرواية المهمة إلى بعض الوسائل والطرُق الأخلاقية التي كان يستخدمها التجار الشماليون مع أندادهم الأفارقة في أقصى الجنوب، وهي أن لايقوم أحدهم بأخذ السلعة التي يريد إلا بعد أن يتأكد من رضاء الطرف الآخر "طيلة هذه العملية لايخدع أحدهما الآخر، فالقرطاجيون لايأخذون الذهب إلا بعد أن يوافق قيمة بضائعهم، كما أن السكان الأصليين لايمسون البضائع إلا بعد أن يوافق قيمة بضائعهم، كما أنهم لايمسون البضائع إلا بعد أن يأخذ القرطاجيون ذهبهم" (المصدر السابق، صفحة 100). لاشك أن ما يذكره هيرودوت هو من أقدم ما ورد في المصادر التاريخية عما يقال لها التجارة الصامتة، أو التبادل الصامت، وهي التي أفاضت المصادر التي تؤرخ للعصر الوسيط في الحديث عنها، أي بعد أيام هيرودوت بحوالي 15 قرنًا على أقل تقدير.

ولعل من بين أهم الرحلات التي قام بها الفينيقيون لبلاد جنوب الصحراء تلك التي قام بها أحد الرحالة القرطاجيين القدامى المعروفين، ومن الواضح أنه لم يكن رحالة عاديًا، بل كان من أكابر القوم، وهو الملك هانون Hannon، وقيل: كان اسمه هانو (طرخان، الصفحات 12-13). ويقال إن هانون كان قد أبحر من بلاده، وكان معه في تلك الرحلة قرابة 60 سفينة بحرية صوب سواحل غرب أفريقيا (المصدر السابق، الصفحات 12-13). وخلال تلك الرحلة وصل الملك هانون إلى الآراضي القريبة من مصب نهر السنغال، ثم حاول التوغل للمزيد داخل بلاد جنوب الصحراء حتى وصل لآراضي سيراليون الحالية بحسب بعض المؤرخين (ابراهيم طرخان، 1970، صفحة 6). ولقد أقام هانون الفينيقي العديد من المحطات التجارية، وقد وصف لنا البلاد التي كان قد شاهدها بعد أن عاد لبلاده، ويعتبر هانون من أقدم من تحدث عن نظام التجارة الصامتة المعروف في هذه البلاد (المصدر السابق، صفحة 6).

كما كان للتجار الفزانيين دورٌ مهم في اكتشاف الذهب والبحث عنه في جنوب الصحراء، ويشير مصطلحُ الفزَّانيين لسكان واحة فزان بالصحراء الليبية، وهي تقع في الجنوب من إقليم طرابلس، وهي تضم العديد من الواحات، وترتبط تلك الواحة بحضارة الجرمنتيين القدامي، أو الغارامانت (ليفيتسكي، صفحة 320). كان لتلك الواحة أهميةٌ كبيرة في تجارة الصحراء منذ ما قبل القرن الخامس قبل الميلاد على أقل تقدير، حيث يذكر هيرودوت أن بعض الجماعات من سكان واحة فزان، وهم في الغالب فيما يرى المؤلف من الجرمنتيين، وهم من الشعوب المعروفين في تلك المنطقة، كانوا يذهبون بعرباتهم إلى أسواق جنوب الصحراء، وكانت العربات التي يقومون بقيادتها تبدو ضخمة فيما يبدو، وكان يجر كل عربة منها أكثر من فرس، ويقال كان عددهم 4 من الخيل لكل عربة (أوليفر، صفحة 67). بينما تظهر بعض الرسوم أو النقوش، من جانب آخر، أن بعض العربات كان يقودها فرس واحد فقط لا أكثر، وهو أمر طبيعي بلاريب.

بيد أن رواية هيرودوت تؤكد ذات الفكرة التي تصورها الرسوم الصخرية من وجود علاقات تجارية قوية بين شمال وجنوب الصحراء

منذ القدم، وفي تعليقه على رواية هيرودوت، يقول رولاند أوليفر: "هذا التقرير يوضح بما لايقبل الشك صحة ما ترويه الرسوم العديدة على الصخور التي وجدت مرسومة على طريقين رئيسيين كلاهما يقود إلى ثنية نهر النيجر العظيم، وكانت عبارة عن عربات تجرها الخيول، وكان الطريق الأول من فزان، والثاني من جنوب مراكش" (المصدر السابق، صفحة 67).

من ناحية أخرى، كان الرحالة أسبامتريس من نبلاء بلاد فارس القدامى، وكان هذا النبيل الفارسي يعيش في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، ويقال إن هذا النبيل بعد أن تم إعدام الملك الفارسي أكزاركسيس في حوالي سنة 465 ق.م (طرخان، البرتغاليون في غرب افريقيا، صفحة 13). ولعل هذا الرجل الذي ينتسب لطبقة النبلاء الفرس كان من بين من تورط في قتل ملك فارس، لهذا يقال إنه أراد أن يكفر عن فعلته بالطواف حول سواحل القارة الأفريقية (المصدر السابق، صفحة 13).

ومن المؤكد أنه لم تنقطع الرحلاتُ التي قام بها السكان من القاطنين لمناطق شمال أفريقيا سواء كانت من الرحلات الاستكشافية، أم كانت من الرحلات التجارية صوب جنوب الصحراء الكبرى حيث تقع أسواق ومناجم الذهب في هذه البلاد، إذ يذكر أحد المؤرخين الإغريق القدامى، وهو الذي اشتهر باسم أثنايوس Athenaeus، أن أحد الرحالة الفينيقيين، أو القرطاجيين، كان يدعى باسم: ماغو، أو قيل: ماجو Mago، وكانت رحلاته عبر الصحراء الأفريقية صوب مناطق الجنوب ثلاث مرات حيث توجد أسواق الذهب (المصدر السابق، صفحة 12).

وتتحدث المصادر التاريخية عن رحلة أخرى مهمة وهي التي قام بها القائد الروماني سويتونيوس بولينيوس Suetonius Paulinus في سنة 50 قبل الميلاد، وكانت تلك الرحلة ضمن عدد من الرحلات الأخرى التي قام بها القادة الرومان، وكانت الغاية منها الوصول إلى مناطق الجنوب خاصة في عمق الصحراء، وإلى بلاد السودان، ويقال إن القائد الروماني توغل في آراضي الصحراء جنوب جبال الأطلس، حتى وصل إلى أحد الأنهار يقال له نهر جير Gir River (طرخان، البرتغاليون في غرب افريقيا، صفحة 13).

كما أرسلت الامبراطوريةُ الرومانية حملة صوب جنوب الصحراء، وكان يقودها قائد روماني اسمه سبتيموس فلاكوس Septimus Flaccus في حوالي سنة 19 قبل الميلاد، وكانت الغاية من تلك الرحملة أن تصل إلى تخوم بلاد السود، أو بلاد السودان (المصدر السابق، صفحة 13). ويقال إن تلك الحملة بدأت من منطقة جرمة، وهي حاضرة شعب الجرمنتيين الذين كانوا يسكنون في آراضي الصحراء الليبية، ولقد وصلت تلك الحملة لبلاد جنوب الصحراء خلال رحلة طويلة وشاقة دامت فيما يقال قرابة 3 شهور، ويقال إن الرومان استخدموا الجبال في تلك الرحلة (المصدر السابق، صفحة 13).

الخاتمة:

وبعد تلك الإطلالة التاريخية في ثنايا تلك الجدراسة التاريخية، يمكننا الخروج ببعض الاستنتاجات المهمة:

– نالت مناطق جنوب الصحراء الكبرى أهمية كبيرة عبر التاريخ بفضل شهرتها بكثرة وجود مناجم، ووجود أكبر أسواق الذهب لاسيما في بلاد السودان الغربي، أو ما يقال لها بلاد غرب أفريقيا بحسب المصطلح الحديث.

– جذب الذهبُ في بلاد جنوب الصحراء الكبرى العديد من الرحالة والمغامرين للقدوم إلى هذه البلاد للبحث عن المعدن النفيس منذ عدة قرون قبل الميلاد، وهو ما تشهد به العديد من الروايات التي وردت في ثنايا المصادر التاريخية.

– حاول السكان في بلاد شمال الصحراء الوصول لمناجم الذهب في أقصى جنوب الصحراء الكبرى، وذلك منذ حقبة زمنية بعيدة، ولهذا كانت رحلات البحث عن الذهب في بلاد جنوب الصحراء لم تنقطع منذ أقدم العصور، وحتى قدوم العرب والمسلمين، حيث ازدهرت تجارة الصحراء بشكل لافت، وهو ما ساهم في الازدهار الاقتصادي في ممالك بلاد السودان الغربي بفضل ازدهار تجارة الذهب.

– لعبت الثيران والخيول دورا مهما في ازدهار الصلات التجارية بين السكان في كل من شمال وجنوب الصحراء الكبرى، لاسيما خلال الحقبة التي سبقت وقوع التغيرات المناخية، وهي التغيرات التي تسببت في قلة الأمطار، وهو ما جعل أكثر الآراضي في بلاد شمال أفريقيا تتحول إلى حالتها الصحراوية الحالية.

– ومع حدوث التغيرات المناخية الحادة التي ضربت الأقاليم الواقعة في بلاد شمال أفريقيا، ومن ثمة تحول الصحراء الكبرى إلى ما

هي عليها الآن، وهو اضطر السكان في هذه البلاد إلى ترك الثيران والخيل كوسيلة للانتقال صوب الجنوب، ثم الاعتماد على الإبل التي تتوافق طبيعتها مع طبيعة الصحراء بشكل أفضل من الثيران والخيل، ومن ثم صارت الإبل الوسيلة الأساسية والمناسبة للتبادل التجاري بين الشمال والجنوب بهدف الحصول على الذهب الأفريقي.

المصادر والمراجع:

David, C. (n.d.). *Ghana & aL mORAVIDS.*
Divid C. Conrad. (1983). *Conrad & Humphery J. Fisher: Ghana & Al Moravids.*
Gulihem, M. (n.d.). *Histoire de .*
Halimatou, M. A. (2015). *La Metropole Village de Ouagadougou Explorer les Potentiels d' un Territoire, Supports de Processus de Projet Architectural, These du Doctorat.*
Herodotus. (n.d.). The Persian Wars.
Herodotus. (n.d.). *The Persian Wars.*
Ipid. (n.d.).
Lynne , S. (1977). *1000 Great Events, Hamlyn, London.* London.
Shawe, D. R. (1857). *Introduction to Geology & Resources of Gold and Geochemistery of Gold.* U.S.
Toby Wikinson. (2008). *Dictionary of Ancient Egypt, Thames & Hudson World of Art, Printed in China.*

ابراهيم أبو القاسم. (2000م). مراكز طرق القوافل بين شمال افريقيا ووسطها. *مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة* (صفحة 495). القاهرة: طريق التجارة العلامية عبر العالم العربي.

ابراهيم حندوقة. (بلا تاريخ).

ابراهيم طرخان. (1963). البرتغاليون في غرب افريقيا. *مجلة كلية الاداب/ جامعة القاهرة*، صفحة 13.

ابراهيم طرخان. (1970). قيام امبراطورية مالي الاسلامية. *مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم*، صفحة 6.

ابن الفقيه. (بلا تاريخ). *مختصر كتاب البلدان.*

ابن بطوطة. (بلا تاريخ). رحلة ابن بطوطة.

ابن بطوطة، و عبد الرحمن السعدي. (بلا تاريخ). رحلة ابن بطوطة.

ابن حزم. (2009). *جمهرة انساب العرب.* شركة نوابغ الفكر.

ابن منظور 2014) .م .(*لسان العرب* .الهيئة المصرية العامة للكتاب.

البرينسي. (بلا تاريخ). *القرطاجيون والذهب الافريقي.*

البيروني 2021) .م .(*الجماهر في معرفة الجواهر، سلسلة التراث الحضاري* .القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الزهري. (د.ت). *الجغرافية.* القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

السعدي. (1898). *تاريخ السودان.* مطبعة بردين.

المصدر السابق.(n.d.) .

المقريزي. (2006م). *البيان والاعراب.* دار الحديث.

الناصري. (بلا تاريخ). دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية وأفريقيا.

أنظر: احاديث هيرودوت عن الليبيين. (بلا تاريخ).

أوليفر. (بلا تاريخ). موجز *تاريخ أفريقية.*

ايمان مهران. (2016). *مدخل لدراسة الثقافة التقليدية* . القاهرة.

ب. دافيدسون. (بلا تاريخ). *أفريقيا القديمة.*

تاديور ليفيتسكي. (بلا تاريخ). *دور الصحراء الكبرى واهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب، تاريخ افريقيا العام.* بيروت: طبعة اليونسكو.

ج. كي . زيربو. (بلا تاريخ). *الفن الصخري*.

جبار حميد الربيعي. (بلا تاريخ).

جراية محمد. (بلا تاريخ). *الصحراء الجزائرية*.

جورج بوزنر. (1996). *معجم الحضارة المصرية القديمة*. القاهرة.

دافيدسون. (بلا تاريخ). أفريقيا القديمة.

دنيس بولم. (1974م). *الحضارات الافريقية*. بيروت: دار مكتبة الحياة.

دونالد ويدنر. (2001). *تاريخ افريقيا جنوب الصحراء*. القاهرة: مكتبة الوعي للنشر.

دونالد ويدنر. (2001م). *تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء*. القاهرة: مكتبة الوعي العربي .

رولاند أوليفر. (بلا تاريخ).

س. إبشتين. (بلا تاريخ). *الصحراء*.

سيد الناصري. (بلا تاريخ). دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية وافريقيا.

شارل مونتي. (2018م). *مملكة وجدو بين الاسطورة والتاريخ*. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

شارل مونتي. (2018م). *مملكة وجدو بين الاسطورة والتاريخ*. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

طرخان. (بلا تاريخ). *البرتغاليون في غرب افريقيا*.

طرخان. (بلا تاريخ). *امبراطورية غانة*.

فيرني. (2002م). *الاركيولوجية في افريقيا الغربية*. نواكشوط.

فيلبسون. (بلا تاريخ). *علم الآثار الافريقية*.

ك. ماكفيدي. (بلا تاريخ). *اطلس التاريخ الافريقي*.

كامرة. (بلا تاريخ). *زهور البساتين*.

مبروكة سعيد الفاخوري. (2012م). المملكة الجرمية في فزان منذ القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي. *جامعة سبها للعلوم الانسانية*، صفحة 111.

محمود كعت. (بلا تاريخ). *تاريخ الفتاش*.

هنري لوت. (بلا تاريخ). *لوحات تسيلي*.

هيرودوت. (بلا تاريخ). *ج4، فقرة 196*.